

الدرس 22) من دفع إيهام الاضطراب الآيات 201 421 من سورة آل عمران

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين ولجميع المسلمين قال المصنف رحمه الله - [00:00:00](#)

قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها هذه الآية الكريمة تدل على ان الانصار ما كان بينهم وبين النار الا ان يموتوا. مع انهم كانوا اهل فترة والله تعالى يقول وما - [00:00:23](#)

انا معذبين حتى نبعث رسولا ويقول رسلا مبشرين ومنذرين لان لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقد بين تعالى هذه الحجة بقوله في سورة طه ولو ان اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا - [00:00:47](#)

رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى. والايات بمثل هذا كثيرة. الحمد لله رب العالمين صلى واسلم على البشير النذير والسراج نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين اما بعد - [00:01:20](#)

هذه الآية الكريمة في سورة آل عمران يقول الله تعالى فيها وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وذلك في ما امتن به جل وعلا على اهل الايمان من هدايتهم - [00:01:36](#)

الى الصراط المستقيم يقول الله جل في علاه واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم. اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم اصبحتم بنعمته اخوانا ثم قال وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها - [00:01:52](#)

هذه الآية في ما ذكر اهل التفسير هي خطاب للانصار الذين كان بينهم من الاحن والبغضاء العداوة والشقاق والقتال ما هو معروف ذاك بين فريقين الاوس والخزرج فمن الله عليهم بالاسلام - [00:02:11](#)

فالتأم شملهم واجتمع آآ خلفهم آآ صلحت حالهم آآ تلفت قلوبهم بعد ذاك الذي الله تعالى من العداوة والبغضاء الاشكال الذي ذكره المصنف رحمه الله كيف يقول الله تعالى وكنتم - [00:02:32](#)

على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كيف نفهم؟ قول الله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها مع ان الله تعالى لا يعذب الا بعد الرسول الا بعد بعثة الرسل واقامة الحجة - [00:02:56](#)

واضح ساق الدالة على انه لا يعذب الا بعد البلاغ وبعد اقامة الحجة وبيان الحق فبماذا او كيف يفهم قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اذا كانوا على - [00:03:11](#)

آآ اذ كانوا على كفر وعداوة وبغضاء ذكر الجواب فقال والذي يظهر في الجواب والذي يظهر في الجواب والله تعالى اعلم انه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لم يبق عذر لاحد فكل من لم - [00:03:37](#)

يؤمن به فليس بينه وبين النار الا ان يموت كما بينه تعالى بقوله ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده. الآية طيب هذا سبق بيانه هذا الجواب سبق بيانه وهو بوضوح وجلاء - [00:03:55](#)

ان قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها. ليس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبلوغ الرسالة انما بعد بلوغ الرسالة وضوح آآ الحجة لهم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في مكة واعلن دعوته بعد - [00:04:15](#)

اه ثلاث سنين من اه بعثته وسمع به الناس في اسقاع الجزيرة وكان ممن سمع به الاوس والخزرج فلو ماتوا بعد سماعهم بدعوة النبي

صلى الله عليه وسلم وبعثته ولم يؤمنوا به لكانوا على - 00:04:35

الوصف الذي ذكر الله تعالى من انهم الى النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والايمن به بعد ان سمعتم به على الكفر مدة لم تستجيبوا لدعوته. النبي قدم الى المدينة وفي الاوس والخزرج من لم يؤمن به - 00:04:58
اليس كذلك فامن به جماعة منهم وظاهروه ونصروه لكن لم يؤمن جميعهم فالله تعالى امتن على الاوس والخزرج هذا فلا اشكال في الاية لا تعارض هذه الاية ما تقدم من الايات الدالة على عدم العذاب وعدم المؤاخذاة الا بعد - 00:05:18

اقامة الحجة وقطع المحجة وبهذا يقول لا تعارض بين الاية وسائر الايات التي ذكر المصنف رحمه الله هناك جواب اخر ذكره بعض المفسرين وهو ان الله تعالى في هذه الاية بين - 00:05:42

سبب العقوبة وهو ما كان بينهم من خلاف واقتتال وبغضاء وشحناء وعداوة على امر الجاهلية ولكن هذه العقوبة مشروطة بالحجة فالذي منع من وقوعها عليهم ما كان من ان الله تعالى لا يعذب احدا حتى يبعث رسولا - 00:06:01
كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. فتكون الاية بينت ما كانوا بان ما كانوا عليه. الاية بينت بان ما كانوا عليه سبب للعقوبة لكن هذا متوقف على - 00:06:29

شرط وهو اقامة الحجة فيكون هذا لبيان مرتبة العمل الذي كانوا عليه من حيث عقوبته ولا يلزم من هذا ان يتحقق الامر لتخلف الشرع لتخلف الشرط وهو اقامة الحجة ولهذا ولهذا نظائر - 00:06:43
منها قوله تعالى لئن اشركت ليجبطن عملك ولتكونن من الخاسرين في خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان الشرك لا يكون منه صلى الله عليه وسلم فهو معصوم من - 00:07:07

كبائر الذنوب فضلا عن الشرك الذي هو اعظم المعاصي والسيئات فهذا لبيان مرتبة العمل وان لم يكن واقعا واضح هذا الوجه الثاني في الجواب وبهذا يقول نعم ثم يقول المصنف بعد ذلك واجاب وما اجاب به وما اجاب به بعض - 00:07:23
من ان عندهم بقية من انذار الرسل الماضين تلزمهم بها الحجة فهو جواب باطل لان نصوص القرآن مصرحة بانهم لم يأتهم نذير. كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم. وقوله ام يقولون افترى بل - 00:07:49

هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك. الاية وقوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك - 00:08:13

وقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل تول قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير. الاية وقوله تعالى وما اتيناه من كتب - 00:08:38

يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير قوله تعالى طيب هو اجاب بان ذكر جوابا وبين غلطه وهو ان من اهل العلم من قال ان العقوبة التي ذكرها الله تعالى في قول في قوله وكنتم - 00:09:09

على شفا حفرة من النار فانقذكم منها انما كانت لكون العرب عندهم بقية آآ لكون العرب عندهم آآ بقية هداية من هدايات الرسل وما كانوا عليه. فلهذا آآ كانت الحجة قائمة عليهم وبين رحمه الله غلط هذا وانه ليس صادقا على حال العرب فانهم ما اتاهم - 00:09:36

النذير ولم يبق معهم شيء من هدايات الرسل الا هدايات لا يحصل بها الحجة ولا تقوم بها آآ الحجة على الخلق نعم لا لا يعكر كل الاحاديث التي فيها اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن احد من اهل الفترة - 00:10:04

انه في النار فذاك لان الله تعالى اطلعه على ما على مصيره ومآله وليس ان الحجة قائمة عليه وذلك ان اهل الفترة يوم القيامة يختبرهم الله عز وجل الفترة ليسوا في الجنة آآ ولا يحكم لهم بها انما يقال يختبرون يوم - 00:10:32

اما بامتحان يمتحنه الله تعالى به. فمن وفق نجا ومن لم يوفق هلك. فمن اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه في النار من اهل الفترة فانه محمول على انه - 00:10:53

اخبر بمآله ومصيره بعد الابتلاء والاختبار الذي يكون يوم البعث والنشور فلا يعارض نعم قوله تعالى ولقد نصركم الله بيدروا انتم اذلة. وصف الله المؤمنين في هذه الاية بكونهم اذلة حال - 00:11:09

نصره لهم ببدر وقد جاء في آية في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة وهي قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التنافي والتضاد - [00:11:31](#)

ولذلك لابد من تفسير يحل هذا الاشكال فمن وصفهم الله عز وجل بالذلة في قوله وانتم اذلة يعارض ما وصفهم الله تعالى به من العزة في قوله تعالى ولله العزة ولرسوله - [00:11:53](#)

وللمؤمنين فالعزة والذلة معنيان متقابلان فكيف يقول وانتم اذلة ثم يثبت لاهل الايمان وصف العزة في قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا بد من تفسير يلتزم به هذا الوصف نلتزم بهذا الوصف - [00:12:09](#)

بقوله انتم اذلة وانتم اذلة وفي قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الجواب يقول والجواب ظاهر وهو ان معنى وصفهم بالذلة هو هو قلة عددهم وعددهم قلة عددهم وعدتهم يوم بدر - [00:12:34](#)

ان معنى وصفهم بالذلة هو قلة عددهم وعدتهم يوم بدر. وقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. نزل في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق. وذلك بعد ان قويت شوكة مسلمين - [00:12:57](#)

شوكة المسلمين وكثر عددهم وعدتهم مع ان العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار اخر وهو ان الذلة باعتبار حال المسلمين من باعتبار حال المسلمين من قلة العدد والعدد والعزة باعتبار نصر الله وتأبيده كما يشير الى هذا قوله تعالى - [00:13:19](#)

واذكروا ان انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس اواكم وايدكم بنصره وقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فان زمان الحال هو زمان عاملها. فزمان النصر هو زمان كونهم اذلة. فظهر ان وصف الذلة باعتبار - [00:13:47](#)

ان فظهر ان وصف الذلة باعتبار ووصف النصر والعزة ووصف النصر والعزة باعتبار اخر فانفكت الجهة والعلم عند الله تعالى طيب آ ذكر المصنف رحمه الله في الجواب - [00:14:18](#)

جوابين الجواب الاول في قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة. وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الجواب الاول ان وصفهم بالذلة في الآية الاولى هو بالنظر الى حالهم من قلة العدد وقلة العتاد - [00:14:39](#)

والصغار في اه اعين الناس مقارنة في بحال من يقابلونهم فانهم اقوى عدة واكثر عددا وامنع جانبا فهم اهل الحرم الذين لم يظهر عليهم احد بهذا يكون قوله وانتم اذلة - [00:15:01](#)

هو بالنظر الى قلة العدد وقلة العدة واما وصفه لهم بالعزة فهو في حال مختلفة عن هذه وهي حالهم في المدينة فان قوله ولله العزة ولرسوله المؤمنين ذلك لما كانوا في عاصمة الاسلام ووقتها وفي وقت - [00:15:32](#)

ظهور النبي صلى الله عليه وسلم في نهايات الامر خلافا لحاله في اول الامر من آآ الضعف وقلة ذات اليد الجواب هنا الاختلاف باختلاف الزمان وذلك لما كانوا عليه من قوة وعدد - [00:15:56](#)

ففي الاول كانوا قلة ليس معهم عدة وفي الثاني وهو في وصفه جل وعلا ولله العزة ولرسوله المؤمنين هذا فيها اخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة في المدينة بعدما اظهره الله تعالى على خصومه - [00:16:15](#)

وايده بنصره وكثر من امن به وقويت شوكته وشوكته وكثر عدد اصحابه هذا الجواب وهو واضح اذا خلاصة هذا الجواب ان الذل في قوله وانتم اذلة المقصود به الكثرة بالعدد والقوة في العدة - [00:16:33](#)

في اول الامر لما كان لما كانوا في بدر وفي الآية الثانية بالمريسيع في او اواخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما كثر عددهم وقويت عدتهم. هذا الجواب الاول الذي ذكره المصنف رحمه الله - [00:16:58](#)

الجواب الثاني الذي ذكره ان الذل باعتبار حال المسلمين من قلة العدد والعزة باعتبار نصر الله بل ان نظران الذل بالنظر الى ما معهم مما هو سبب للعزة. ليس معهم اسباب العزة - [00:17:17](#)

لا قلة لا كثرة عدد ولا قوة عدة لكن العزة التي لكن هذا لم ينفي عنهم العزة اذ نصرهم الله تعالى والعز ثمرة النصر العز ثمرة النصر ولذلك قال المصنف رحمه الله هنا - [00:17:39](#)

والعزة باعتبار نصر الله وتأبيده وقد جمع الله بينهما في قوله ولقد نصركم الله بدر وانتم اذلة. فالنصر هو العزة التي ذكرها في قوله

ولله العزة ولرسوله والمؤمنين اما قول وانتم اذلة فهذا بالنظر لاسباب العزة التي يهتم بها الناس ويشغلون بها فهذه لم تكن عندهم -

[00:18:04](#)

وهذا هو الوجه الثاني من اوجه الجمع بين الايتين وقيل ان العزة في قوله تعالى آآ نعم الذل في قوله وانتم اذلة ذلك بالنظر الى آآ ما كان في قلوب الكفار - [00:18:29](#)

فانهم كانوا قد استهانوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقول وانتم اذلة اي في نظر في نظر اعدائكم وخصومكم لا في حقيقة الواقع آآ ما كنتم عليه من اسباب العلو والارتفاع والعزة التي امدكم الله تعالى بها بسبب ايمانكم - [00:18:50](#)
فيكون هذا بيان لنظرة الكفار لاهل الاسلام في تلك الوقعة تصغروهم واستقلوا عددهم وعدتهم كما قال الله تعالى يدركهم الله في منامك قليلا ولو اراكم كثيرا لفشلتم وتنازعتم في الامر ولكن الله سلم - [00:19:14](#)

فكانوا على حال من آآ الظعف في نظر اعدائهم مما جرأهم عليهم هذا الوجه الثاني من اوجه الجمع وقيل وانتم اذلة بالنظر الى ما قام في قلوب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من هيبة الكفار - [00:19:34](#)
الذين جاءوا على نحو من قوة الظهور والمنعة والاستكبار ما كان سببا شيئا من الذل في قلوب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا بعيد والله اعلم واقرب هذه الاجوبة - [00:19:58](#)

وما ذكره المصنف رحمه الله من ان الذلة هنا باعتبار اسباب العز المادية بقوله وانتم اذلة. اما بالنظر الى العزة فانها لم تنتفع عنهم لايمانهم وقوة يقينهم بوعدهم الله عز وجل ولذلك اقدموا واقبلوا رغم علمهم بالحال فالنبي واصحاب واصحابه لم يخرجوا - [00:20:20](#)
قال انما خرجوا لاذخ غير وفي شتان بين ان يأخذوا يخرجوا حبس العير عن المشركين الذين سلبوهم اموالهم واعتدوا عليهم وبين ان يخرجوا لملاقاة جيش اه بعدة وعتاد وبهذا يلتئم المعنى ولا اشكال في الايتين - [00:20:45](#)
نعم فيكونوا انتم اذلة باعتبار مختلف عن قوله تعالى ولله العزة ولرسوله والمؤمنين آآ فالعزة باعتبار اخر والشخص قد يقوم فيه اعتباران كما هو الحال في هذه الاية. ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة - [00:21:11](#)

نعم واضح الجواب نعم تعالى اذ تقولوا للمؤمنين البين يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة الاية هذه الاية تدل على ان المدد من الملائكة يوم بدر من ثلاثة الاف الى خمسة الاف - [00:21:33](#)
وقد ذكر تعالى في سورة الانفال ان هذا المدد الف بقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة. الاية اية ال عمران يقول الله تعالى اذ تقولوا اذ تقولوا للمؤمنين ان يكفيكم - [00:22:00](#)

ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم. يمدتكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة ها مسومين فذكر الله تعالى المدد على نحوين ابتداء ثلاثة - [00:22:26](#)
وخمسة مشروط بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين ثم في سورة الانفال يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين - [00:22:48](#)

فكيف يتسق العدد الذي في سورة الانفال مع العدد الذي في سورة ال عمران يقول رحمه الله والجواب على هذا من وجهين. الوجه الاول الاول انه وعدهم بالف اولا ثم صارت ثلاثة الاف ثم صارت خمسة كما في هذه الاية ثلاثة - [00:23:06](#)
اعرب يكون الوعد متدرج اولا امدهم بثلاثة دون شرط اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة ثم زاد الى ثلاثة في نفس الوقعة. اذ تقولوا للمؤمنين ان يكفلكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف - [00:23:31](#)

من الملائكة ثم جاء العطاء بوعدهم بخمسة الاف اذا بلا ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف فلا تعارض بين الايتين بل هو تدرج في المدد لتقوية قلوبهم - [00:23:52](#)

وتثبيت اقدامهم واطهار فظلمهم هذا الجواب الاول. الجواب الثاني الوجه الثاني في الجواب. الوجه الثاني ان اية الانفال لم تقتصر على الالف بل اشارت الى الزيادة المذكورة في في ال عمران ولا سيما في قراءة نافع من الملائكة مردفين بفتح الدال على صيغة المفعول لان معنى - [00:24:12](#)

متبوعين بغيرهم وهذا هو الحق واما على قول من او اما على قول من قال ان المدد المذكور في ال عمران في يوم احد. طيب هذا ما يختلف كثير عن الوجه الاول - [00:24:37](#)

انما هو بيان له واظهار ان اية الانفال لم تقتصر على الالف بل اشارت الى الزيادة المذكورة في ال عمران ولا سيما في قراءة نافع بالاف من الملائكة مردفين مردفين اي متبعين - [00:24:53](#)

وهم الذين اخبر الله عنهم في قوله اتقوا الا يكفيكم ان يمدكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين؟ بلى ان تصبروا وتتقوا واتيكم الفارقين هذا يمدكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسوم. فهؤلاء هم المردفون - [00:25:06](#)

هؤلاء هم المتبعون هذا القول الاول يعني على هذا الوجه حقيقة تعزيز للاول واستشهاد له بالقراءة اما الوجه الثاني فالجواب يقول واما على قول من قال ان المدد المذكور في ال عمران في يوم احد والمذكور في الانفال في يوم بدر فلا اشكال - [00:25:24](#)

على قوله الا في ان غزوة احد لم يأت فيها مدد من الملائكة والجواب ان اتيان المدد فيه على القول به مشروع على والجواب ان اتيان المدد فيها على القول به مشروط بالصبر والتقوى في قوله - [00:25:46](#)

بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم. الاية ولما لم يصبروا ويتقوا لم ياتي المدد. وهذا قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى ابن عقبة وغيرهم قال - [00:26:04](#)

له ابن كثير خلاص هذا هذا الجواب ان الاية التي في اه اتقوا المؤمنين ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين هذي ليست في غزوة بدر بل هي في غزوة احد - [00:26:25](#)

والتي في الانفال هي في غزوة بدر طيب يقال ان الملائكة مع الاشكال الذي اورده انه الملائكة لم ينزلوا في احد فاجاب عنه ان انزال الملائكة في احد كان مشروطا. وهذا لم لم يتوفر فلم ينزلوا لذلك - [00:26:38](#)

والله تعالى اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد. بارك الله فيكم - [00:26:58](#)